أنواع القصص الحديثة واتجاهاتها

وفي غالب الأحيان تنقسم القصة إلى أقسام ثلاثة، وهي الرواية والقصة القصيرة والقصة.

الرواية:-

أما الرواية فهي في الواقع ملحمة العصرالحديث وقد استفادت من مختلف الأنواع الأدبية، وكان اتصالها بالثقافة أكثر من الاتصال بالنوع الأدبي الآخر، و لذلك اتجهت الرواية إلى معالجة قضايا الإنسان و احتك بالحياة العادية اليومية احتكاكاً مباشراً مما جعلها أكثر الفنون الأدبية، قدرة على التعبير عن أزمات الإنسان و مأزق المجتمع.

ومن بين الفنون الأدبية أجد أن الرواية قد تطورت تطوراً مذهلاً، وانتشرت انتشاراً شديداً في العصرالحديث، ولاتزال تعرض بشكل الأفلام عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

ويوضح أحمد أمين معالم الرواية بقوله: " الرواية مدنية بوجودها لاهتمام الرجال والنساء في كل مكان وزمان، بالرجال والنساء، وبالعواطف الإنسانية و السلوك الإنساني، وهي أولاً تتناول حوادث وأعمالاً، وهي ما نسميه بالتصميم، وثانياً هذه الأحداث تحدث لناس يفعلونها ويقاسونها، وثالثاً تخاطب هؤلاء الناس".

و قد قسم طه وادي الرواية إلى قسمين : الأول منها يكون طويلاً، فالكاتب يعرض الرواية بصورة طويلة بتطويل المرحلة الزمنية المتخيلة، لأن صاحب الرواية يذكر النواحي المختلفة من الحياة الممتدة من الطفولة إلى الشباب، ومن زوايا مختلفة، مثل الزواج و الصداقة والتآخي، والعيش في القرية و تصوير المدنية والطبيعة، فهذا الاتساع الزمني، يذهب بالرواية إلى الطول، يقول: قد يكون امتداداً عرضياً عن طريق مزيد من العمق و التفصيل في تصوير الحدث الذي تدور حوله.

أما النوع الثاني من الرواية، الذي يكون التعمق في عرض القضية المصورة هو سبب الطول.

القصة القصيرة:-

قد اختلف النقاد في تحديد القصة القصيرة الخارجي ، هل القصة عبارة عن حكاية تعرض في صفحات قليلة، وتشتمل على مجموعة قليلة من الأفعال والأعمال.

وقد ينكر بعض النقاد هذا التعريف والتحديد للقصة، فلا عبرة عنده بقلة الصفحات أو أن يختمها القارئ في جلسة واحدة قصيرة.

أيا ماكان فإن القصة القصيرة جاءت بنتيجة الثورات الوطنية والفكرية و الأدبية والاجتماعية وإثر النهضة الحديثة، وقد عثر عليها كتاب الأدب العربي في العصر الحديث، وفي جانب تلك الفنون المستحدثة قد تحدثنا عنها من قبل، وإن الحياة المصرية إذ ذاك أيضاً قد ساعدت كثيراً في نمو القصة العربية القصيرة.[1]

فإن القصة القصيرة على حد تعبير طه وادي: "هي تجربة أدبية تعبر عن لحظة في حياة إنسان، فهي إذن يقوم على التركيز والتكثيف في وصف لحظة واحدة، ولا يهتم القاص فيها بالتفاصيل".

والأمر المهم أن هذا العصر الذي يسير فيه كل شئ بغاية من السرعة لايريد الإنسان أن يضيع أوقاته في قراءة القصة الطويلة مثل الرواية، التي يهتم فيها الروائي بالتفاصيل ، فهم يؤثرون القصة القصيرة التي طالما يمضي قدما نحو تعمق اللحظة التي يصورها، و لهذا السبب أرى أن القصة القصيرة قد اكتسبت أهمية لا يستهان بها، حتى جعل معظم الرواد ينهلون من هذا المورد في العصر الحديث ، و على رأسهم مصطفى لطفي المنفلوطي، ومحمد تيمور، وعيسى عبيد، ومحمود طاهر لاشين، وعبد القادر المازني، وعباس محمود العقاد، و طه حسين، ومحمود تيمور، حتى نجيب محفوظ، وكلهم كانوا مولعين بهذا النوع من القصة، و شئ آخر أن الحياة كثيراً ما تحتوي على بعض الجوانب التي تحتاج إلى نظرة عابرة ، فهذا النوع من القصة تعبر عنها في غاية من الإيجاز والدقة.

القصة:-

إذا كانت الرواية تشتمل على زمن طويل و تستغرق وقتاً طويلاً، و القصة القصيرة تكون على عكسها، والقصة هي بين الرواية والقصة القصيرة، و هي أيضا تعالج المشكلات البيئية و العصرية، و ربما تذكر التاريخ الماضي والقومي، ولكن لا على طريق سرد تاريخي ، بل في أسلوب قصصي يبعث القارئ على المتابعة في القراءة، وتتملك على نزعة القارئ النفسية، وإن كانت القصة في معنى الكلمة تعد من الفنون التي أخذها الشرق من الغرب، ولكنها تختلف عنها اختلافا كثيرا في قضية الموضوع، كما تخلصت من الموضوعات التي أسسها الخيال المحض فصارت تعالج الواقع الإنساني والنفسي و الاجتماعي، حيث أشار الدكتور غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي الحديث: "تهتم القصة على الأخذ

بالوصف، وصف الحياة والأشخاص، ومجال الأحداث التي يبررها و تهتم كذلك بصراع الشخصيات النفسي في هذا المجال لتحقيق ما يقومون به من أعمال".

هذا النوع من القصة العربية قد ظهرت في تاريخ الآداب الأوربية في القرن التاسع عشر، وجاء إلى الشرق بعد الاتصال عن طريق البعثات.

وهناك أنواع قصصية أخرى أيضا من حيث الموضوع وهي القصة الاجتماعية و السياسية والدستورية.

عناصر القصة:

الشخصية:-

الشخصية لها أهمية كبرى في القصة العربية وهي محور الأفكار والآراء و منها تنبع الإمتاع والتشويق، وتعد الشخصية بمثابة العمود الفقري للقصة،وإذ أخرجت الشخصية عن القصة ذهبت روح القصة العربية، لأن القصة على حد تعبير بعض الأدباء "فن الشخصية"، والشخصية تقوم بدور مهم، ولكن لابد أن تكون الشخصية و أعمالها و دورها ملائمة لما يقوم الناس في حياتهم اليومية، وأن تكون ممكنة الحدوث أو التماثل مع واقع الحياة التي يحياها البشر بالفعل.

وربما تظهر الشخصية في صور مختلفة و قد ذكر الدكتور غنيمي هلال قسمين من الشخصية في كتابه " النقد الأدبي الحديث " فيقول:

"الأشخاص في القصة بعامة نوعان ، ذوا المستوى الواحد ثم الشخصيات النامية، القسم الأول: تمثل صفة أوعاطفة واحدة وتظل سائدة بها من مبدأ القصة حتى نهايتها، ويعوزها عنصر المفاجأة، وهذا النوع من الشخصيات أيسر تصويراً و أضعف فناً، و لا تكشف به كثيراً عن الأعماق النفسية والنواحي الاجتماعية. أما الشخصيات النامية فهي التي تتطور وتنمو قليلاً قليلاً".

والرواية لاشك في أنها تحتاج إلى أنماط مختلفة و ملامح شتى من الشخصيات ، فعلى الكاتب الروائي أن يراعى جميع الملامح التي تناسب بينها و بين الواقع ، و لابد أن تتلائم بغاية من الدقة و الملائمة، فتتخلل القصة إذا صور الكاتب شخصية الطفل في صورة الشاب، وأبرز نفسية المرأة في الرجل شديد البأس.

فعلى الكاتب أن يحسن التصرف مع كل شخصية مع مراعاة ميزتها و خصوصيتها، لأن الشخصيات تكون في شكل الطيب والنزل والجبان والوطني والجاد والعابث والفتاة والمرأة والشباب والعجوز، وقد تكون في بعض الأحيان في صورة الأطفال والخدم ، كل هؤلاء يتفاعلون جميعاً لكي يشكلوا إطار عالم متناغم.

الحدث:-

الحدث على حد تعبير بعض النقاد ، عبارة عن معادل موضوعي لقضية فكرية، يريد المؤلف أن يوصلها إلينا بشكل فني.

على الكاتب أن يبتدئ بالقصة في أسلوب ساخن مثير جذاب، يجذب القارئ إلى القراءة و هو الذي يبعث في القصة القوة و الحركة ، و الحدث بمثابة رجل بيده زمام الشخصيات الموجودة في القصة، فهو يحرك الشخصيات و يديرها على صفحات القصة ، و بالطبع تكون الشخصيات تابعة للحدث.

و الأستاذ أحمد أمين أيضا قد أكد على هذا الجانب، جانب نمو الحدث و تطورها منسقاً، إذا عبر عنه حسب حالتها في القصة أو الدراما عن الحادثة الابتدائية فحركة النهوض، فنقطة التحول فحركة الهبوط أوالحل فالخاتمة.

فالحدث في القصة وأخواتها ينمو نمواً فنياً متناغماً ومتناسباً، فهذا النمو يزيد في القصة حسناً وبهاءاً و رونقاً وطلاوة، ولاسيما إذا كان وفق الواقع الذي يكون في الحياة و يقع عادة، فلا يستحسن أن يكون الحدث عن طريق الصدفة والقدرية، و أن تكون نمواً عشوائياً غير عادي، مثلاً إذ يصور الفقير يعيش في القصور الشامخة، فمثل هذا العمل لا يدل على فنية القصة، و تكون كأوراق تذهب بها الريح حيث شاءت.

بيئة القصة:-

تشتمل القصة على البيئة الزمانية والمكانية، فالبيئة عنصر هام في القصة ، و كثيراً ما يلجأ القاص إلى تصوير البيئة قبل ذكر الأدوار القصصية التي تلعبها الشخصيات في القصة من خلال الحدث، لأن البيئة القصصية تخبر إلى حد عن مدى شمائل الشخصيات وأخلاقها وأساليب حياتها وعيشها ومناخها وطبائعها وما إلى ذلك إن العناية البالغة ببيئة القصة لم تكن في سالف الدهر فإذا نستعرض الحكايات و القصص السابقة في تاريخ الأدب العربي أن العناية بهذا الجانب لم تكن في ذلك العصر، إلا أن العصر الحديث يحتفل بهذا الجانب احتفالا بالغا ، فلابد للقصة أن يكون لها مكان معين و زمان محدد، تدور فيهما القصة.

و يؤكد الدكتور طه وادي عن المسار الطبيعي للزمان " بأن يحرك الكتاب الأحداث في زمن رتيب متسلسل فهي تبدأ من لحظة معينة ثم تستمر على النسق و الترتيب لتعرف ماذا حدث".[2]

هذا كان تعريفاً عن الزمان في القصة ، والمكان أيضاً عجلة ثانية لدفع دفة القصة إلى الأمام، لأن المكان يصور تصويراً صادقاً عن المجتمع الذي ولدت فيه الشخصية القصصية أوعلى التعبير الحديث البطلة أو البطل، فإذا اختلف المكان اختلفت القصة، فمكان البادية الخشنة لاتلائم وطبيعة المدينة الهادئة الناعمة، فالكاتب يجب عليه أيضاً أن يختار الموضوع القصصي حسب البيئة و مراعاة المكان، و الفروق البيئة التي تتحرك فيها الشخصيات، و تقطع فيها أشواط حياتها اليومية ، لأن البيت كما يقول بعض النقاد امتداد لنفس الإنسان، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان.

الحوار والسرد:-

إذا كانت القصة العربية تقوم على أربعة دعائم و إذا كانت الشخصية والحدث والبيئة تلث العناصر البنائية، فالحوار والسرد ربعها الباقي، فهذا هو الركن الرابع من العناصر التي تتكون منها القصص.

و لايستطيع أحد أن يستهين بأهمية الحوار في القصة ، لأن الحوار يؤثر على القصة تأثيراً و يقترب لأجله القاص بالناس اقتراباً وثيقاً مباشراً و يطلع لأجله الناس على حقيقة الشخصية، وإذا كان الحوار أدّى أداءً جيداً صحيحاً، وهنا شروط للحوار والسرد في القصة لا مناص من مراعاتها لأي أديب أو روائي.

أولاً:- يجب أن يكون الحوار عنصراً منتظماً في الرواية يسرد الحوادث ويذكر الأشخاص ويعبر عن علاقتها مع الحوادث.

ثانياً:- يجب أن يكون موافقاً للرواية كل الموافقة و يتصل بها اتصالاً وثيقاً، بجانب ملائمته بالشخصيات والوقائع و الحوادث التي تقع في القصة أو الرواية ، كما أنه أيضا لازم أن يكون منسجماً مع الموقف الذي ذكر فيه.

ثالثاً:-أن يكون الحوار بأسلوب سهل واقعي، ويفيد إفادة تامة.[3]

فكل هذه الشروط الثلاثة تحتاج إلى مهارة تامة.

فلذلك أجد أن الكاتب القاص أو الروائي إذا أخطأ في استعمال الكلمات والسرد والحوار حيث لا يلائم الحوار ، شخصية المتكلم به، أو لايوافق مع الموقف أوالحادث الذي يعبر عنه، فيذهب رونق القصة وبهاؤها بجانب انعدام فنية القصة.[4]

يذكر طه وادي الحوار تعريفه و أهميته بشئ من التفصيل ، فيقول:

"الحوار هو ما يدور من حديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية، و هو يشكل جزءاً فنياً هاماً من عناصر القصة، لأنه يوضح طبيعة الشخصية التي تفكر بها، ومدى وعيها بالقضية أوالمأساة التي تشكل حياتها المتخيلة، وإذا كان الإنسان يعرف بأنه حيوان(ناطق) فإن النطق ينبغي أن يقوم على(منطق) فالبشر رجالاً و أطفالاً في الحياة أو في عمل أدبي يختلفون في المستوى الفكري والثقافي، لذلك ينبغي ما يتوافق منطق كل شخصية مع ما تنطق به من عبارات".[5]

والحوار في كثير من الأحيان ينقسم إلى نوعين، فالنوع الأول يكون فيه الحوار مع الغير، الذي قد تحدثت عنه آنفاً، أما النوع الثاني فيكون فيه الحوار مع النفس حيث يفكر الرجل أوعلى حد تعبير بعض الأدباء يتحدث بلا صوت.[6]

والسرد القصصي أيضاً عنصر للقصة في موكب الحوار، وهو مصطلح أدبي عرفه بعض النقاد بقوله: "الطريقة التي يصف أو يصور به الكاتب جزءاً من الحدث أو جانباً من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملحماً من الملامح الخارجية للشخصية ".[7]

وقد يوزعه الأدباء عادة إلى ثلاثة أقسام، أما الأديب يختار الأسلوب الوصفي كما نجد هذا الأسلوب قد اختاره الله تعالى في القرآن الكريم، أو يكتب القصة في سرد قصصي يمر في سيره من منعرجات المذكرات واليوميات، والطريقة أو النوع الثالث الذي لابد أن يكون بغاية من الدقة و الإمعان هو طريقة الرسائل، فالأديب يلزم عليه أن يراعي بين مستوى المرسل إليه والمرسل.

أسلوب القصة:-

يحتل الأسلوب على موقع حسن في أي قطعة أدبية ، مهما كانت صغيرة أو كبيرة، لأنه هو الذي يأذن لإنتاج الأديب أن يتسرب إلى داخل الأحشاء و يأخذ منها كل مأخذ ، و له أيضاً أهمية بأنه – بالنسبة للقارئ- هو الصلة بينه و بين المؤلف، للوقوف على الفكرة والشخصيات والحدث وقد وصف ناقد كبير الأسلوب أحسن وصف وأجاد فيه فقال:

"أسلوب القصة هو الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه لتحقيق أهدافه الفنية و الوسائل التي يمتلكها الكاتب، هي الشخصيات و الحوادث والبيئة ، و تأتي بعد ذلك الخطوة الأخيرة، وهي جمع هذه الوسائل في عمل فني كامل".

وأسلوب القصة أسلوب مطنب يمكن أن نرى فيه جوانب متعددة من نفسية الشخصية على لسانها و لسان غيرها من الشخوص، والاقتصاد المفرط يذهب بروح القصة ويضر بها.

وأسلوب القصة أسلوب فسيح مقارنة مع المسرحية والتمثيل، وهذا لأن القصة لا يحدها قالب أويخص بها أسلوب، فلابأس بالقصة إذا ذكرت في أسلوب الحوار والسرد، أو في أسلوب المذكرات و قالب اليوميات و في أسلوب الرحلات ، أو كان الأسلوب أسلوب الرسائل، فالقاص مختار يختار أي أسلوب شاء ، و هو في عرضها تام الحرية.

كما أنه أيضاً لا يلزم على القاص أن يراعي سلسلة الزمن ، فلا بأس إذا بدأ بالخاتمة ثم وصل عن طريقها إلى البداية ، و قد يبدأ القارئ القصة بفترة معينة من حياة الشخصية الأساسية فيها ، ثم يعود إلى الماضي ويصور ما فات من ذكره من الحوادث و تصوير الواقع، كما للكاتب أن يختار العناية الأول بالأشخاص قبل اعتنائه بالبيئة، أوغير هذا الطريق.

ويؤكد بعض النقاد مثل شوقي ضيف أنه من الضروري للقصاصين أن يتسلحوا بأدوات كثيرة كي يتيسر لهم التعمق في الحياة الاجتماعية بجانب الحياة الإنسانية، و أن يختاروا الأسلوب الذي يسيطر على نفسية القارئ في بادئ ذي بدء ، وهذا لا يأتي إلا بعد مران طويل.

وبعض النقاد مثل الناقد رتشارد قسم الأسلوب التعبيري إلى أربعة أقسام، و هي المعنى، والاحساس، والإيقاع، والقصد، فالإحساس هو موقف الكاتب من المعنى الذي يريد نقله ، كما أن الإيقاع هو عبارة عن الوسيلة للاتصال بالقارئ ، و القصد بمعنى الكلمة هو الهدف الذي يسعى له القصاص من خلال قصصهم ، يقول فلوبير:

"إنه مهما يكن الشئ الذي يسعى الإنسان إلى التعبيرعنه، فإن هناك كلمة واحدة تعبر عنه ، فعلاً واحداً يوحى به و صفة واحدة تحدده ".

الفرق بين القصة والرواية والمسرحية:

لقد آثرت هذه الثلاثة من بين الأنواع القصصية الأخرى و ذلك لسببين:

الأول: إن الأنواع القصصية الأخرى إنما تتفرع من هذه الثلاثة في معظم أحوالها، أوهي امتداد وجزء لبعض هذه الأنواع.

الثاني: إن الإطالة غير ممدوح، وخاصة في بحث ليس هو موضوعه هنا، و إن موضوعي الرئيس ليس هو وحده التعريف بالفنون القصصية، وذكر روادها، بل الحديث عن عبد الحميد جودة السحار، وما يتعلق به من منظار قصصي، وإن ما ذكرت هنا إنما هو على وجه تمهيد الطريق وعلى سبيل التوطئة.

القصة:-

إن القصة تجربة إنسانية يعبرعنها أديب أسلوب النثر سرداً و حواراً من خلال تصوير شخصية مأزومة أو مجموعة أفراد يتحركون في إطار واقع اجتماعي محدد المكان والزمان، ولها

امتداد معين، من ناحية الطول والقصر، يحدد شكلها النوعي عن الأقصوصة التي تتناول قطاعاً أوشريجة أوموقفاً من الحياة.

وأكبر ما تمتاز به القصة الحديثة من حيث النوع والأسلوب والبناء و الإشكالية، أن القصة ليس لها قالب متعين يتحكم فيها كقالب الحوار الذي يتحكم في المسرحية، فمن الممكن أن تصاغ في قالب رسائل أو في قالب مذكرات أويوميات أو رحلات أو في قالب سرد قصصي على لسان شاهد عيان، و قد يسردها أحد شخوصها، وقد يسردها المؤلف نفسه، فليس هنا قالب معين يفرض على القصاص، بل له أن يختار القالب الذي يريده، ثم هو في عرضها تام الحرية، فقد يبدأها من أول حوادثها، ويمضي بالحوادث مسلسلاً لها مع الزمن، وقد يبدأها بخاتمتها، ثم يأخذ في تجلية هذه الخاتمة وكيف تضامت أحداث مختلفة، انتهت لها تلك النهاية، وقد يبدؤها بفترة معينة من حياة الشخصية الأساسية فيها، ثم يعود إلى الماضي ليصور لنا كيف تمت تلك الفترة وما وقع فيها مت أحداث، وهذا من حيث البدء والختام، أما من حيث سياق القصة فهناك صور كثيرة، منها ما يعني القصاص بالحوادث قبل غايته بالأشخاص فهي الأساس، أما الأشخاص فيجردون فيها مع الأحداث سواء وقعت في رحلات أومغامرات أوجرائم، و من صور القصة ما يدور حول شخصية أساسية تنتهي إليها دائماً خيوطها، منها ما يدور حول طائفة من الشخصيات لا تعلو إحداها على الأخرى، فليس فيها بطل بعينه يمسك بزمام الشخوص الأخرى، ولا بزمام الأحداث وحده ، و قد يجعل لكل شخص دوراً يتفجر من طبيعته النفسية وما يحفظ به من أحداث.

الرواية:-

هي تجربة أدبية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات تتفاعل مجتمعة لتؤلف إطارعالم متخيل، غير أن هذا العالم المتخيل الذي شكله الكاتب ينبغي أن يكون قريباً مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه، أى أن حياة الشخصيات في الرواية تجب أن تكون ممكنة الحدوث في واقع الكاتب، والحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما، فقد تمتد إلى سنة أو عدة سنوات، ولاشك في أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى توسع في التصوير و بالتالي إلى اتساع حجم الرواية، التي تُعد أطول الأشكال القصصية حجماً.

تعد رواية " زينب" التي كتبها الدكتور محمد حسين هيكل ، الميلاد الحقيقي للرواية المصرية فإنها انتقال من طور الترفيه و أسلوب المقامة إلى النثرالعادي، وإذا صحَ القول بأن الرواية المصرية اجتازت في المرحلة السابقة طور النمو، فإنها في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد ازدهرت و اكتمل بناءها على أيدي طائفة من الكتاب.

و لاشك في أن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية في عصرنا الحاضر بالنسبة للوعي الأخلاقي، وذلك لأنها تجذب القارئ لتدمجه في الحياة المثلي التي يتصورها الكاتب.

وأما ما تمتاز به الرواية ، فإنّها . قبل كل شئ . تبسط بصورة مفصلة الحياة بكل تفاصيلها وجزئياتها في سعة وامتداد و عمق وتنوع واختلاف فتبدو الحياة فيها أكثر وضوحًا، ويدق الروائي فيها رسم كل حادثة وكل شخصية من التعمق والتتبع لكل سلوكها ودوافع ذلك السلوك الداخلي ، عن طريق إفساح المجال للتعبيرالسلس المفسر المفصل.

ولاتعتمد الرواية على عنصرالزمن فحسب لتوسيع رقعة الأحداث، بل إن الروائي يعتمد على عناصر فنية أخرى تتفاوت أهميتها وتختلف وجهات نظر الكاتب، واتجاهاته وأفكاره الخاصة، و طريقة عرضه الروائية ، إذ بدأ الروائيون في العصر الحديث يتحللون من عنصري الزمان والمكان بصورة واضحة وأخذوا ينطلقون داخل النفس البشرية ذلك العالم غيرالمحدد الزمان ولا المكان.

ويعالج الروائي في الرواية موضوعاً كاملاً فتزخر الرواية بهذا، بحياة كاملة لجيل من الأجيال أو أكثر كما في روايات بعض الكتاب العالميين ، فالرواية تعطينا أبعاد حياة بطل أوأبطال معينين بكاملها.

وملخص القول أنّ مجال الرواية فسيح و متسع للتفصيل أكثر مما يتاح للكاتب في مجال القصة أو الأقصوصة ، على أن هذا لا يدفعنا بالتسليم بما نادى به أصحاب المدرسة الواقعية من ضرورة التزام الكاتب الروائي يتلمس كل حادثة من الواقع و تسجيلها بشكل فوتوغرافي.

وإذا أردنا أن نفرق بين كل من الأنواع الثلاثة لفن القصة فإننا نشير إلى بعض التلميحات حول هذا الجانب ، ففي مجال القصة القصيرة يكون القاص مكتفياً بالاهتمام بحادثة معينة دون التفصيل في ذكر نتائجها ودوافعها ومقدماتها، ولا يهتم القاص فيها بالوقوف على باطن الشخوص وسير أغوارها، وفيها يجب أن تكون الفكرة منطوية ضمن التركيب ذاته، وتصبح جزءًا ما في العمل كله، مثلها مثل الأشخاص والحوادث.

وتقوم القصة القصيرة على عناصر هامة منها الفكرة ، و الحدث، ولحظة التوتر، وهي بتحقيق هذه العناصر بشكل فني متكامل إنمايكون وقعها أكثر تأثيراً في النفس وأكثر تلمساً لمشكلات الواقع والتعبير عنها بشكل يؤثر بطريق أسرع.

يقول الدكتور رشاد رشدى: "وكان قيام القصة القصبرة على صورتها الحديثه إثر ملائمة للعصر، فهي الوسيلة الطبيعية للتعبير عن الواقعية الجديدة التي لاتهتم بشئ أكثر من اهتمامها باكتشاف الحقائق من الأمورالصغيرة العادية المألوفة".[8]

وفي مجال الرواية تظهر عناصر العمل الفني كالوسط و البيئة والزمان و الحبكة واللغة والصورة والشخصيات واضحة، و تتفاعل كلها بشكل متناغم ومتطور بغية تسيير الحدث و تسلسله بشكل منطقي محكم حتى تتبلور فكرة الكاتب في عمل يتسع لكل جزئيات الحدث بل الأحداث جميعها ، وقد تنوعت الرواية في اللغات الأوربية وفي اللغة العربية[9]، فتناول بعض الكتاب أحداث التاريخ في أعمال روائية جيدة، وبعضهم اعتمد على التحليل النفسي[10]، ثم هناك من يعرف بروايات المغامرات والحركة أوالروايات البوليسية التي تعتمد اعتمادًا كليا على مفهوم الجريمة وتعقيبها و القضاء عليها.

المسرحية:-

إن المسرحية أكثر ما تعتمد على الجمهورلأن الناس هم الذين يعملون في ترقية المسرحية وإحباطها، فكاتب المسرحية لايكتب كما يشاء بل هو مقيد باعتبارات كثيرة، تردّ في مجموعها إلى أنه يؤدي عملاً مسرحيًا وهي لاتقص بشكل واحد وفي قالب واحدٍ، و هو قالب الحوار، وإن زمن المسرحية محدود في ثلاث ساعات على الأغلب، يقول الدكتور شوقي ضيف:

"يتركز اهتمامه تركزاً تاماً لمدة قصيرة من الزمن ، فالقصر أساس في المسرحية، ومن ثم لاتطول غالبًا أكثر من مأة صفحة، والكاتب المسرحي يتحدث عن طريق الممثلين بصورة لاتسمح للتطويل، ولا للاستطراد ولا للتعليق على الحوادث و الأشخاص.[11]

إن كاتب المسرحية يصنع لوحة سريعة يلحظ فيها تحديد الزمن، لوحة لها موضوع هو حكاية درامية، ولابد أن تكون الحكاية عنيفة بحيث تفيض بمواقف و مفاجآت بل بحيث ينشأ فيها صراع عنيف بين شخوص أو بينهم وبين القدر أو أي حظ معاد ، والمسرحية تقوم على الانتخاب والاختيار، موضوعاً وأحداثاً، إن المسرحية بمثابة أن تكون إزاء شريط حقيقي سريع تتطور فيه الشخصيات من خلال عرض وأحداث وأزمة وحلّ، وإن عمل كاتب المسرحية قائم على العزل والانتقال، فهو يعيش في آن في حقيقة وآخر في تجربة.

وقد أجاد الدكتور شوقي ضيف في وصف المسرحية وبيان مميزاتها، وذكر مدى الفروق بينها وبين أختها القصة، فيقول:

"إن المسرحية لقطة أو لحظة بخلاف القصة ، فهي لقطات و لحظات، أو بعبارة أخرى هي سلسلة أو سلاسل من الواقع، سلاسل تلتقي لتكون عملاً قصصياً طويلاً، لايكتفي فيه بجزء من

الأجزاء إنها ليست نبذة إنّما هي كل كبير، إنها نهر زاخر فياض بالحياة ، واسع الرحاب والآفاق ، وليس هناك أي شئ يدعو القصاص إلى السرعة والتعجيل ، فهو يتدفق كما يريد من غير انقطاع حتى يصل إلى نهاية قصته وتتجلى وحدة الأحداث بينة واضحة.[12]

أسلوب القصة تطول وتطول بينمايكون الإيجاز ضربة لازب للمسرحية، لأن المسرحية تقوم دائماً على الانتقاء بقيم فنية كثيرة ، لأنها إنما تصور جزءًا لاتصور كلاً، يقول الدكتور أيضاً:

إنّ المسرحية لاتنقل الحياة غالباً نقلاً دقيقاً بخلاف القصة، و معروف أن الحياة في الفنون لاتمثل تمثيلاً تاماً، وأنها تختلف قرباً و بعدًا منها ..... أما عدسة الكاتب المسرحي فإنها تضبط ماتراه وتنظمه، بحيث ترفع النظارة إلى ذروة الانفعال العاطفي ، بمشاهدة متخيلة تجعلهم يقتنعون اقتناعاً بأنها مشاهد من الممكن أن تجري في الحياة.

فالواقع أن الكاتب المسرحي مقيد بقيود المسرحية و ضروراتها الكثيرة ، أما القصاص فخرج من كل قيد سوى فنه ، و ليس هناك أي شئ يحول بينه وبين الانطلاق حسب إرادته الفنية.

الفصل الثاني
تطور الفن القصصي في العصر الحاضر

تطور القصة عبر العصور:-

يذهب بعض الناس إلى أن الفن القصصي حديث في الأدب العربي، كما يقول البعض الآخر - لاسيما المستشرقين- أنه منقول عن الأدب الغربي الحديث نقل ترجمة واحتذاء، ولكن ليس معنى

ذلك أن الفن القصصي لم يكن موجودًا في الأزمان التي كان الشعر فيها متربعاً على عرش الأدب[13]، بل الحقيقة أن الفن القصصي كان موجودًا دائمًا، مثلما كان الشعر موجوداً دائماً، بل إنّ الفن القصصي كان موجودًا قبل الشعر.

فالفن القصصي مولده سابق على الشعر بكثير، لأن الحاجة الوجدانية إليه تسبق الحاجة الوجدانية إلى الشعر، وإن خيال الإنسان الأول قد كان يشتغل و يخترع فيفرض الفروض، ويفسر معضلات الحياة فكان هذا العمل هو أوّل خطوة خطاها في سبيل إنشاء الأساطير وما الأسطورة سوى قصة خرافية صاغها هذا الإنسان البدائي، على حسب ما أوحاه له خيال الضعيف.

تطورت تلك الأساطير أوالقصص الخرافية شيئاً فشيئاً فأخذت تخرج من دائرتها، فعالجت سير الأبطال و وقائع الحروب ولكن جو الخرافة كان دائماً يسيطر عليها و بدأ الناس يسمعون قصص الغول وصاحب اللحية الزرقاء وما شابههما، وقد اتفق المؤرخون على أن القصة على قسمين: قسم موضوع ، وقسم منقول ، أو بعبارة أخرى قصص مؤلفة، وقصص مترجمة، ومن النوع الأول "قصص عنترة" و"مجنون ليلى"، ومن النوع الثاني كتاب "كليلة و دمنة" و "ألف ليلة وليلة"، ومعظم القصص الموضوعة لها أصل تاريخي، فأشخاصها أبطال حرب، وحوادثها التي ينبت عليها حوادث وقعت في التاريخ.

و"كليلة و دمنة" هي من القصص المنقولة من لغة فارسية و أصل هندي، ومن المنقولة ما لحقه التغيير، إما بالإضافة أوالحذف أوالصقل أو التهذيب حتى كاد يصبح غريباً عن أصله مثل "ألف ليلة وليلة"، يقول الأستاذ غنيمي هلال:

"حسبنا أن نوجزالقول هنا في عيون الأدب العربي التي تمت بصلة للقصة في فنها وغرضها، و هي قسمان: مترجم دخيل، وعربي أصيل، ونذكر من النوع الأول "كليلة و دمنة"، ثم "ألف ليلة وليلة"، ومن النوع الثاني نعرف "المقامات" و "رسالة الغفران" و "حي ابن يقظان"[14].

و أما قصة عنترة فقد قال عنها محمد تيمور رائد القصة العربية الحديثة الناضجة:

"هي أرقى من أخواتها لغة و شعراً، تصور الحياة العربي في العهد الجاهلي و تروي لنا شيئاً من حروبه وشجاعة الأبطال و كرمه وحبّه و وفاءه وتضحيته.

والقصة من الوجهة التاريخية غير موثوق بها ففيها كثير من الخلط والغلط، و هي فوق ذلك مفككة الحوادث ولا ربط يربط بعضها ببعض، و لكن نرى فيها بجانب ذلك بعض مواقف روائية رائعة، منها الموقف الذي يموت فيه عنترة بسهم مسموم فعندما يشعر بدنو منيته، ويخشى على

جيشه الهزيمة، يسرع إلى جواده فيمتطيه، و يعتمد على رمحه ثم يموت، ويراه العدو من بعيد، وهو ممتط فرسه، معتمد على رمحه فيظنه حياً يدير رحى القتال[15].

و"المقامة" تعتبر لونًا قصصيًا فريدًا في نوعه، اختص به الأدب العربي وحده، حينما اتسعت الفتوحات الإسلامية وخاف جماعة من اللغويين والنحاة على اللغة أن يصيبها وهن وفساد ، فاندفعوا ينتقون الكلمات انتقاء ويتخيرون الأساليب تخيراً ، وقامت المنافسة بينهم ، كل كاتب يريد أن يتفوق على زميله في الإنشاء ، فاهتموا بالعرض دون الجوهر.

يقول شوقي ضيف عن المقامة وتعقيده: " كان هم بديع الزمان أن يجمع في كل مقامة من مقاماته طائفة من الأساليب البلاغية المصنعة التي تعتمد على السجع و البديع، وإنه يسرف في تجميل كل مقامة بأوسع طاقة ممكنة في الزخرف والزينة، و التنميق، ومن ثم انصرف عن الموضوع إلى الأسلوب، وذهب يُجمله و يرصعه فنونا من التجميل والترصيع، فالترصيعُ والتجميل هما غايته من عمله، حتى تستوي له طرف إنشائية بليغة تروع معاصريه ..... وإن من يتابع البديع في مقاماته يحس حقا أنه ألفها لغرض التمرن على الكتابة والإنشاء ، فإنه يعني دائماً بالوصف و لايصف شيئاً إلا راكد فيه العبارات.[16]

والغرض الذي رمى إليه مؤلف المقامة هو عرض الموعظة أوالنكتة المستلمحة والألغاز اللغوية والنحوية.

القصص المترجمة العربية:-

(ألف ليلة وليلة) هو يحتوي على ثلاث مجموعات مختلفة:

المجموعة الأولى: كتاب " ألف خرافة " الفارسي المسمى بـ"هزار أفسانه" وهو مجموعة قصص خرافية فارسية وهندية.

والمجموعة الثانية: قصص كتبها على نمط القصص السابقة مؤلفون من العرب، وبعضهم من بغداد، والآخرون من مصر.

والمجموعة الثالثة: ما جمعه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء ، والكتاب من حكايات ونوادر للعرب والفرس[17].

والكتاب من الناحية القصصية يعتبر من كتب القصص العالمية[18]، وقد ترجم إلى معظم اللغات الحية.

أما كتاب " كليلة و دمنة " فقد ترجمه عبد الله بن المقفع في أسلوب من أبلغ الأساليب، و الكتاب من أصل هندي وضعه "بيدبا" الفيلسوف، رغبة منه في إصلاح الملك "دبشليم" العاهل المستبد، وجعل أقاصيصه على ألسنة الطيور والحيوان[19].

تطور القصة في مصر الحديثة:

مرت القصة المصرية الحديثة بعهدين:

ففي الأول حاولت التحرر من القالب العربي القديم، و يمثل مطلع العهد "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي، فقد نسج على منوال المقامة إلا أنه يمتاز ببعض الجدة في عرض الحوادث و رسم الصور، والكشف عن الشخصيات المصرية الصميمة، ولعله تعبير صادق عن الذهنية المصرية التي تأثرت آنذاك بالثقافة الغربية تأثراً غير قليل.

وفي العهد الثاني: مضت القصة تنهج النهج الغربي الحديث، ويمثل مطلع ذلك العهد "رواية زينب" للدكتور هيكل، فهي أول رواية توافرت لها عناصر القصة الفنية، يقول الدكتور سعيد الورقي عن هذا التقسيم:

"سار الاتجاهان في البداية على طرفي النقيض لطبيعة الصراع الذي كان بين أنصار إحياء الثقافة العربية القديمة، و بين أنصار الأخذ بأسباب الفكر الغربي، فاتجه أنصار الثقافة القديمة إلى إحياء وتمثيل الشكل العربي في حكاياته ومقاماته، واتجه أنصار الثقافة العربية الأجنبية إلى الكتابة على هدي تلك النماذج المترجمة و المشاعر.[20]

ويقول الدكتور غنيمي هلال:

"فمن النوع الأول - أي المترجم الدخيل - قصص " كليلة و دمنة "، وهي من جنس القصصي على لسان الحيوان أو الخرافة، و لم يكن للعرب سوى "كليلة ودمنة"، قصص على لسان الحيوان، و يمكن أن يقال - إجمالاً- إنها كانت إما فطرية أسطورية تشرح ما سار بين الناس من أمثال، وإما مأخوذة من كتب العهد القديم، و ماعدا هذين فمتأخر عن " كليلة ودمنة " ومتأثر به، كما في بعض قصص الحيوان في الجاحظ ".[21]

ومن النوع الثاني - أي القصص العربي الأصيل- المقامات والمقامة، الأصل معناها المجلس، ثم اطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل قصة تحتوي غالبا على مخاطرات يرويها راو عن بطل يقوم بهذه المخاطرات، وقد يكون ناقداً اجتماعياً أو سياسياً، وقد يكون فقيهاً متضلعاً في

مسائل الدين أوفي مسائل اللغة، ولكنه غالباً متسول ماكر، ولوع بالملذات، مستهتر، يحتال للحصول على المال ممن يخدمهم، وهو دائماً أديب يجيد الأسلوب عن بديهة وارتجال.[22]

كانت القصة المصرية ربع قرن من الزمان نتاج صيد الخيال وكان الأدب التقليدي يوشك أن لايعترف للقصة بمكانتها السامية، و لا يفسح لها مجالا بين الألوان الأدبية الرفيعة، ولكن جاء اليوم الذي عمت فيه القصة و راجت رواجاً عاماً، وهي في ذلك مدينة للصحف التي صادفت فيها ذلك اللون القصصي الجديد يتبوأ مكانه الكريم فيها.

يقول الدكتور السيد/ ورقي: " لم تلبث القصة القصيرة في مصر أن حققت تقدما ملحوظا بعد المحاولات الأولى السابقة، و قد ساعد على هذا الاتساع حركة الترجمة و تقدمها و ظهور جيل من المتمرسين بالثقافة الغربية و العربية، وكثرة الصحف والمجلات التي وجهت عنايتها إلى هذا اللون من الأدب، مثل "السفور" و"الفجر" و"السياسة" الأسبوعية و" البلاغ " الأسبوعي وغيرها، و قد تحقق التقدم في القصة القصيرة في مصر بظهور خمسة روادهم ، محمد تيمور ، و عيسى عبيد ، و شحاتة عبيد ، و محمود تيمور ، و محمد طاهر لاشين.